سلسلة

مقالب ½ الدنيا ١٠

صحفي مزيف

بقلم : محمد المزاتى

رسوم : عمرو أمين

دار الرشاد

الناشـــــر : **دار الرشـاد**
العنـــــوان : ١٤ شارع جواد حسنى ـ القاهرة
تليفـــــون : ٣٩٣٤٦٠٥ - ٢٩٩٢٦١٥
رقـم الإيداع : ١١٣٧٩/ ٩٤
الطبـــــع : **عربية للطباعة والنشر**
العنـــــوان : ١٠، ٧ ش السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين
تليفـــــون : ٣٢٥٦٠٩٨ ـ ٣٢٥١٠٤٣
الطبعـة الأولى : ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م
الطبعة الثانية : ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م
الطبعة الثالثة : ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣م

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الغلاف : عمرو أمين

كانت آخر مقالب « ½ الدُّنيا » ذلكَ الشَّابَ العابثَ المستهترَ الذى احترفَ السرقةَ والسَّطو ، وهو مقلب « عروس فى الخيال » والذى وُجِّهتْ إليه فيه تهمةُ النَّصبِ على الغَيرِ ، ليَخْرُجَ مِن السِّجْنِ بكفالةٍ حتى تنظر كل قضاياه فيحاكم على جرائمه واحدة إثر الأخرى ، بيد أن ميله إلى المزاح الثقيل الذى بلغ حد الجريمة لا يتركه بهدأ وكأنه « جَرْثُومةٌ » جَرَتْ فى عُرُوقِه ، فإنه ما إن أُفرِجَ عنه بهذا الضَّمانِ المالى من المحقق حتى حَنَّ إلى تكْرَارِ أفعاله الخبيثة .

ويَتَخَفَّى « الدُّنْيَا » هذه المرة فى شَخْصِ صَحَفِيّ لبْنانِيّ مستغلاً بَياضَ بَشْرَتِهِ وزرقة عينيه واقْتِدَاره على النُّطْقِ الصحيح للهجَةِ هذا البلد الشقِيقِ ، ولَتكُنْ (شَمْسٌ) نَجْمَةُ السِّينِما المعروفةُ هَدَفَهُ لسرقة كُلّ حُلِيّهَا ومجوهراتها ؛ وليتركها كَمَا انْتَوَى أوْ عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِهِ (جِلْدَةٌ عَلَى عَضْمَةٍ) أمَّا كَيْفَ حَدَثَ ذلك ؟ .

فَإِنَّهُ قـدْ لجَأَ إلى فَرْدٍ فى عِصَابَتِه أُوتِى الموهبـةَ الأصـيلةَ فى الخـطِّ والرَّسْمِ مقـلدًا (كرنيهًا) أو بِطَاقةً صـحفيةً تُثْبِتُ اشتغالـه كَمحَررٍ فَنِّىٍ فى مجـلةِ (السِّنَّارَةِ) اللبنانية .

وليَحْمِل زميله كاميرا فـاخرة مقابلاً إياها فى أحـد فنادق « الدرجة الأولى »
حيْثُ دُعِيتْ على رَأْسِ فَنَانِى مصْرَ لإحْيَاءِ حَفْلٍ خَيْرِيّ ! .

وحَيْثُ تسطَعُ الأضـــواءُ والفـلاشَـاتُ فى الْبَهْـوِ الــرائِعِ وتتألَّقُ « شمْسٌ » كالطاووس وسط المدعوين فى ردائِها الأخضر المُرصـع ـ أى المزين ـ بالماسِ وقد ارتدت قبعةً ورديـةً ، يتقَدَّمُ ليطبع قبلةً على أنَامِلِها الرَقيقـةِ وهو ينَحنِى فى جرأةٍ لكأنه بالفعل صحفىٌّ محترفٌ مقـدمًا بطاقته الصحفيـة التى دُوّن فى خانة الاسم بها : فاهـد ناصـــيف ، وخـانة المهنـة : محرر فنى بمجلة «السِنَّارة اللبنـانية» ، قائلاً : إن إدارة المجلة قد أوْفَدتْهُ ـ أى أرسلته ـ بالطَّائِرَةِ لِتَوِّهِ ـ أى حالاً ـ لعمل تحْقِيقٍ فنِّيّ أو « ريبورتاج » حول فيلمها الأخير !! .

ولما كان « كليوباترا » وهذا اسم الفيلم قد تكلَّفَ عشرات الملايين فضلاً عن اعتزاز الشركة المنتجة به وإحاطته بهالة ـ أى دائرة الضوء ـ من الدِّعايةِ لا يسْبِق لها مثيلٌ ومحاولة إبرازه كفيلم عالمى ، وأهم من ذلك اعتزاز « شَمْس » بشخصها الفنى الذى وصل إلى حَدِّ الغرورِ فإنها تأْمُرُهُ بتأْجِيلِ الحديث حوْلَ تحديد الموعد ، فى الوقتِ الذى تُسْرِعُ فيه إلى إدارةِ الفُنْدُقِ لتتصل هاتفيًّا ـ أى تليفونيًّا ـ بـ « توجو مزراحى » رئيس المجلة فى بيروت مُطلِقة عليه سيْلاً من التأنيبِ العنيف كقولها : منذ متى تستهين بنجمة الشرقِ الأولى فتَبْعث إليها بمحررٍ ناشىءٍ ولا تُكلِّفُ نَفْسكَ عناء الحضور أو حتى إرسْالِ رئيسِ لأحد أقسام المجلة التى كانت أحاديثى وتحركاتى سببًا فى إقبال الجماهير عليها . . أنسيت مبْناها فى أقْدم عِمارةٍ فى العاصِمةِ . . أم تُرَاكَ نسيت بذلتك المُتَهَرِّئَة ـ أى البالية القذرة ـ المليئة بالبُقعِ أيها النمروذ !! .

ويبْكى رئيس التحرير بِلهْجتِهِ اللبنانيةِ على الطَّرف الآخرِ : يا حِزْنى يا دِلّلى على وجْهِ منْ أصْبحْتُ ها اليوم ، إبكى يا حمام نوِح يا غراب على خراب بيْتك يا « مزراحى » .

ثم يواصل حديثه : سيتى الكريمة . . إدينى الفرصة . . إدينى الفرصة وحياة عويناتك . . أبوس هاراسك . . إدينى الكلمة وحياة إمّك ! .

فترد مهتاجة : ما الّذِى تُريدُ قوْلهُ بعدَ الذى جَرى !! ؟

سيتى الكريمة . . ها المحرر مدسوس ما بنعرف عنه شىْ !! .

إنت بتقول إيه !! .

بقول لص خَيّهِ . . لص وحياة طنُوشْتك (يقصد قبعتها) !! .

المهِمُّ أنَ النجمةَ الشهيرةَ تـرْفَعُ السماعةَ لتتصِل « بمُديرِ الأمْنَ » مُعْطِيـةً إيْاهُ أوْصَافهُ بِدقَّةٍ والتى أهمها تلك « الندبة » أو الجُرْحُ القَديمُ على خَدِّهِ الأَيمن .

والتى تعرَّفَ عليها البوليسُ كاشفًا عن شخْصِيَّتِهِ عنْ طَرِيقِ (شَاشةِ الكمبيوتر) فتصْدرُ إليها التعليمات باستدراجِه إلى فيلتها فى الحيِّ الراقِى لعمل التحقيق الصحفى حتى يُقْبض عليه فى (ساعة الصفر) ، ومن ثم فإنها قد عادت لتعتذر بذلك الصداع الذى جعلها تهْمِلهُ بعْض الوقت ، وأنها لتُرحِّبَ بِهِ فِي وطنه الثانى « مصر » وتضْرِبُ موْعِدًا بعد الغد لعمل التحقيق واضعة نفسها تحت إمرته !! .

فى « اليوْم الموعُـود » يذْهبُ ومعَـهُ حاملُ الكـاميرا ليجدَ (شَمْسَ) فى أبْهَى زِينةٍ وقد تحَلَّتْ بِكُلِّ نفيسٍ من مجوهراتها لإثارَةِ مطَامِعِهِ التى خمَنتْ أنه يُدَبِّرُ هذا « المقلب » من أجلها ، فى الوقت الذى احتل فيه رجالُ الشرطةِ الفيلا ورَصدُوا كُلَّ زواياها .

حَتَى إذَا تَطرَّق الحديثُ إلى الصُّور الزَّاهِيَةِالتى اعْتَادتِ المجلةُ نَشْرَهَا لمشاهير « الكواكب » طَلَبَ منها أن تَذْهبَ إلى حجْرةِ نومِها لارتداءِ فساتين أكثر أَنَاقَةً وتشويقًا للقُرَّاءِ إلا أنها ما إن ذهبت حَتَّى أَسْرَع يَضَعُ عَلَى وَجْهِهَا مِنْدِيلاً بِهِ سَائِلٌ مُخَدِّرٌ ؛

فى الْوقْتِ الـذى فُتِحتْ فيه أبوابُ دولابِ الملابس وقَفَز منْـهُ رجالُ الشرطةِ ليطوقـوا ذِراعَيهِ من وراء ويديروا وثـاقه[1] مع زميله مقـدمين إياهما لمحـاكمة عاجلة قُضِى فيها بسجنه جزاء كل ما ارتكب من حماقات[2] مدى الحياة .

---

(١) يكتّفونه .

(٢) الحماقات : أى الأفعال الرعناء التى لا تقوم على الاتزان والعقل .

وتمر السنون طويلةً متباطئةً داخِلَ القضبان الفولاذية ليتهدم الجسد المتقدِّرُ بالحيوية ويتقوسُ منه الظَّهْرُ وتقصُرُ الخطواتُ ويُكلِّلُ المشيبُ رأسهُ كأنما ليدمر هذا الرأس الذى ما استخدم إلا فى إيذاء الناس أو بعثهم وهم الأبرياءُ إلى قبورهم . ليَحْضُرَ واعظُ السجن العالم الورع ــ شديد التقوى ـ الذى سبقته شهرته إليه فيؤم النزلاء فى « يوم الجمعة » حتى إذا فرغ تقدموا يقبلونه واحدًا إثر الآخر وليذهب بدوره ليفعل ، بيد أنه ما إن تلاقت النَّظراتُ حتى رجعت بهما الذاكرةُ عشراتِ السنين إلى الوراء لِيتَذكَّرَ ذلك الصبى « الأزهرى » فى المدينة والذى ما كان يهنأ إلا بعد إثارة غيظه لدوام نجاحه وتفوقه !! .

قال بعد أن لثم يده ـ قبل يده ـ .

أتذكرنى أيها الشيخ . . ؟

قال فى ابتسام لائم : شِد العِمة شِد . . تحت العِمة قرد ! و . . عُومى يالبدة ـ وهى غطاء من أغطية الرأس ـ جَدِّف يا طربوش !! قال ودمْعَةٌ كبيرةٌ تَسْقُطُ على خدِّهِ . . ثُمَّ ماذا !! . ؟ قال : ويوم اختطفت عمامتى لتصنع من شاشها مُقَلاعًا ـ ما يرمى به الحجر ، وجمعه مقاليع ـ ترجُمُ به الناس !! . فعلا نحيبه ـ أى : بَكَى بصوت عالٍ ـ وقال : ثم ماذا !! .

قال : ويوم سرقت جبتى وقفطانى ودخلت الامتحان ببطاقةٍ مزورةٍ بدلاً منّى لتكتب فى ورقة الإجابة أغَانٍ شائعة لأرسُبَ وأسقط فى أوحال الفشل مثلك ، والذى نصرنى الله فيه فقبض عليك رجال « النجدة » ولتُودّع حياة العلم مرفودًا مدى الحياة ، ولتعقد لى لجنةٌ خاصةٌ أنجحُ فيها بتفوقٍ . ثم أكمل يسرد على مسامعه تفاصيل مغامراته واحدة إثر الأخرى ، فرد متعجبًا : لكأنك كنت معى . . أستغفِرُ الله ، لكأنك تتابعُ أخبارى دقيقةً بدقيقةٍ !! قال : لقد كنت شهيرًا على صفحات الجرائد ونشرات الإعلام !! قال ورأسُهُ مَنكَّسٌ كالعلم الحزين : شُهرَةُ الخيبةِ والعارِ . فَرَدَّ العالم : ولكن باب التوبة مفتوح لكل عاص . فهَزَّ رأسَه قائلاً فى حسرةٍ : بَابُ التوبةِ !! .

بَابُ التوبةِ لمثلى أيّها الشيخُ !! قـال : نَعَمْ . . إنَّ الله لاَ يَغْفِرُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ لِمَنْ دُونَ ذَلِكَ جميعًا شَرِيطَةَ أَلاَّ تعودَ إلى ضلالِ مَا كُنْتَ فيه أبدًا . فَأَشْرَقَ وَجْهُهُ الغارقُ فى الدّمُوع وقال : أُشْهِدُ الله أمَـامَكَ عَلى نَدَمِى عن كل ما فعلت وتـوبتى إليه نصوحـة ـ لا رجعـة فيها للمعصيـة أبـدًا ـ وانْسَـلَّ ـ مشى ببطء وخفـة ـ من أمامـه وشىء من رضـا «الرحمن » يفرش طريقه بنور جديد . ويروى شُهُودُ العيَان ـ من شاهدوا الحوادث بأعينهم أو أمامهم ـ أنَّهُ لَـمْ تَـمْضِ شـــهورٌ حَتَّى أُفْـرِجَ عَنْهُ إفْـرَاجًا صحيًّـا ولينطلق إلى « دنيا الحرية » فـاسْتَقَامَ حَالُـهُ وعَاشَ فى مَوْكِبِ السعـداءِ بعد أن بارك الله فيما بقى لـه من عُمْرٍ مديد ـ عمر طويل ـ نعم . . قال شهود العيان ذلك ، وأقول : إنه لا يأس من رحمة الله .